The Image of Mafraq in the Geographers' and Travelers' Books and the Books of the Stations of Pilgrimage. (Since the Umayyad Era till the End of the Ottoman Era)

Al-Mahdi Al-Rawadieh[(1)*]

(1) Department of History, University of Jordan, Amman - Jordan

Received: 08/08/2023
Accepted: 30/10/2023
Published: 30/06/2024

* *Corresponding Author:*
a.rawadieh@ju.edu.jo

DOI: https://doi.org/10.59759/art.v3i2.600

Abstract

The cities and places located on the route of the pilgrims of the Levant were taken care of by Arab and Muslim geographers and travelers, their blogs included a description of their geographical nature and general conditions in terms of water resources and the availability of food, the fodder necessary to feed the animals, and the state of the roads that penetrate or pass next to it in terms of security and difficulty of passage and other things that the traveler should beware of such as thieves and bandits. The books of the pilgrimage also included brief statements aimed at serving the pilgrim and informing him of the route of the road and the conditions of the places located on it.

Mafraq (its ancient name: Al-Faddain) occupied an important place before Islam by being located on the ancient Sultanic road (Trajan's road). Its flat terrain contributed to making it a corridor preferred by travelers away from the desert routes to the East, and The Straits of the Ajloun mountains to the West .

This paper aims to trace the descriptions of Arab geographers and travelers about Mafraq (Al-Faddain) and note its presence in their writings and in the works of the pilgrimage stations, and to indicate their impressions of it and its geographical location.

Keywords: Mafraq, Al-Faddain, Books of Arab Geographers and Travelers, Books of Pilgrimage Stations.

صورة المفرق في كتب الجغرافيين والرحالة العرب وكتب منازل الحج "منذ العصر الأموي وحتى نهاية العهد العثماني"

المهدي الرواضية[1]

(١) قسم التاريخ، الجامعة الأردنية، عمان – الأردن.

ملخص

حظيت المدن والمواضع الواقعة على طريق حجاج الشام باعتناء الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين، وتضمنت مدوناتهم وصفاً لطبيعتها الجغرافية وأحوالها العامة من حيث الموارد المائية وتوفر الغذاء، والعلف اللازم لإطعام الدواب، وحالة الطرق التي تخترقها أو تمرّ بجوارها من ناحية الأمن وصعوبة المرور وغير ذلك مما يتوجب على المسافر الحذر منه كاللصوص وقُطَّاع الطريق، وتضمنت كتب منازل الحج أيضاً إفادات مقتضبة هدفها خدمة الحاج وإحاطته علماً بمسار الطريق وأحوال المواضع الواقعة عليه.

وكانت المفرق (واسمها القديم الفدين) قد احتلت مكانة مهمة قبل الإسلام بوقوعها على الطريق السلطاني القديم (طريق تراجان)، وساهمت تضاريسها المنبسطة في جعلها ممراً يفضله المسافرون بعيداً عن مسالك الصحراء شرقاً، ومضايق جبال عجلون غرباً.

وتهدف هذه الورقة إلى تتبع أوصاف الجغرافيين والرحالة العرب عن المفرق (الفدين) وملاحظة حضورها في مؤلفاتهم وفي المصنفات الخاصة بمنازل (محطات) الحج، وبيان انطباعاتهم عنها وعن بقعتها الجغرافية.

الكلمات الدّالة: المفرق، الفدين، كتب الجغرافيين والرحالة العرب، كتب منازل الحج.

مدخل:

توفَّرَت معلومات جيّدة عن الطريق البرِّيّ التي تربط فيما بين الشّام والحجاز، ونالَت المفرق، بوقوعها على هذه الطريق، حيّزاً مُرضياً من التعريف والذكر، وازدادَت المعرفةُ بها في العهد العُثمانيّ بمرور قافلة الحجّ القادمة من إسطنبول مروراً ببلاد الشام حتى الحجاز، وتوجد هذه التفصيلات في ثلاث محافظ أو مصادر أساسية:

١) **كُتُب الجغرافيّين والرَّحَّالة العرب:** وهي تتضمَّن مادَّة جيّدة وموسَّعة عن المواضع والمدن والقرى، ونالت المدن والأماكن الواقعة على خط سير ركب حُجَّاج الشام حيّزاً من إفادات الرَّحَّالة، خاصّة في رحلات الحج، أو الرحلات المتوجّهة إلى إسطنبول على الطريق البرِّيّ مُروراً ببلاد الشّام.

٢) **كتب منازل الحجّ والأدلَّة الإرشاديّة:** وهي التي تُكْتب للحُجَّاج لإرشادهم بالمواضع التي تخترقها قافلة الحج وحالة الطرق، إضافة لتعليمهم كيفيَّة أداء مناسك الحج، وأغلبها باللغة العُثمانيّة، ومنها

منثور ومنظوم، واعتنى مؤلّفوها بتعداد المحطّات التي يسلكها موكب الحجّ من إسطنبول (أو من أدرنة) عبر بلاد الشّام وصولاً إلى مَكّة والمدينة المنوَّرة، وذكر المسافات بين المنازل بالساعات وهي تتّصفُ باقتضاب مادّتها وتقديم معلومات عامّة ومقتضبة لفائدة الحاجّ. وقد أحْصَت الباحثةُ التركية إسراء دوغان Esra Doğan في دراستها الصادرة باللغة الفارسية نحو ٣٠ كتاباً ورسالة تقع ضمن هذا النمط من المصنفات[١]، وقد تمكن الباحث من الاطلاع على أربعة منها بصورتها المخطوطة واستخراج ما يتعلق بمدينة المفرق منها، وترجمته إلى العربية[٢].

٣) **دفاتر الصُّرَّة العُثمانيّة ووثائق مصروفات موكب الحج العُثمانيّ:** ويُقدَّر عددها بنحو ٤١٧٠ دفتراً، ممَّا يحتفظ به الأرشيف العُثمانيّ، ويشتمل دفتر الصُّرَّة الواحد على نحو ستّ وعشرين دفتراً بحسب الجهات المستهدَفة والمستفيدة من المخصَّصات المالية[٣]، وهي تتضمّن مادَّة قيّمة عن الطريق البرّيّ المتَّبعة من قبل موكب الحجّ، وتوفّر مصدراً إضافيّاً في دراسة هذه الطريق ومحطّاته حتى سنة ١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م[٤] عندما أصبَحت الصُّرَّة . ومعها ركب الحُجَّاج . تتنقل بواسطة السفن البحريَّة إلى بيروت، ثم تُواصل سيرها برّاً نحو الحجاز[٥].

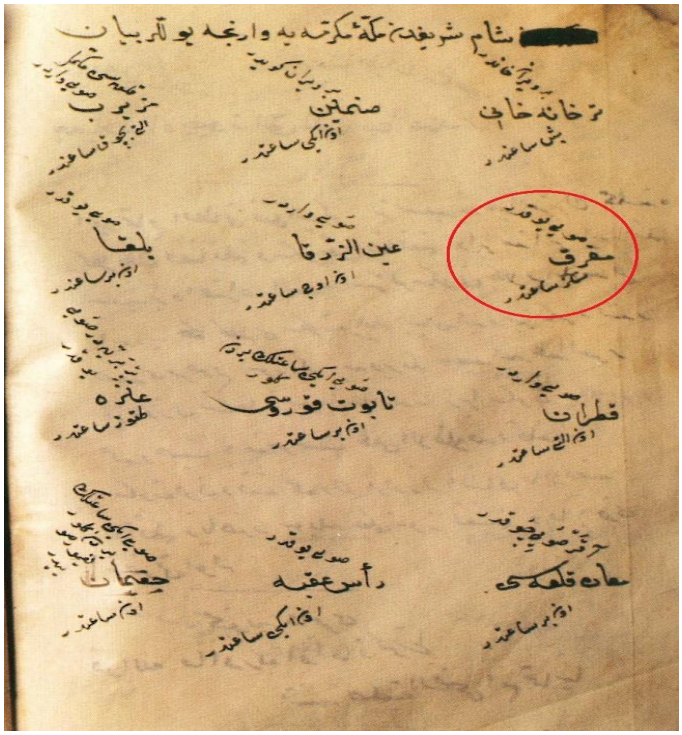

الأماكن التي سلكها موكب الحج العثماني حاملاً للصرة السلطانية، دفتر الصُّرَّة رقم ٤٨.٣٠٦ لسنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م.

المصدر: جاغلار: المحمل الشريف ٢٩١.

ففي النموذج المدرجة صورته آنفاً، ذكرٌ للمواضع الواقعة داخل الأردن بحدوده السياسية الحالية، أولها من ناحية دمشق: المفرق وصولاً إلى جغيمان (المدورة حالياً) الواقعة إلى الجنوب الشرقي من معان، وكانت مدة السير من المزيريب إلى المفرق ثماني ساعات (سكز ساعتدر)، ومنها إلى عين الزرقاء ١٣ ساعة (أون أوج ساعتدر).

وتستندُ هذه الورقة، من بين المنابع الثلاثة المتقدّمة، على النوعَين الأوَّلين فقط، أي كتب منازل الحجّ ومُصنَّفات الجغرافيّين والرَّحَّالة العرب، أما دفاتر الصُرَّة؛ فإنَّ المنشورَ منها لا يُوفّر مادّة كافية للبحث، وإن تمَّت الاستعانة بالمتاح منه.

الموقع الجغرافي والبُعد التاريخي:

تقع محافظة المفرق –وبضمنها مدينة المفرق– في شمال المملكة الأردنية الهاشمية، على خطّ الطول ١٢′– ٣٦° شرقاً والعرض ٢٠′– ٣٢° شمالاً[٦]، وهي على بُعْد نحو ٧٠كم شمال العاصمة عمّان، و٣٥كم جنوب مدينة الرمثا الحدوديّة (انظر الخارطة الملحقة بآخر الدراسة)، وهي محافظة كبيرة المساحة، وتعدّ ثاني محافظات المملكة اتِّساعاً، ومركزها مدينة المفرق[٧].

وكانت تبعيّة المفرق الإداريّة في القرون الهجرية الخمسة الأولى تتبع إلى جُند دمشق هي وكامل بلدات كورة حَوْران[٨]، وجعل المقدسيّ البشاري تبعيّة حَوْران لجند دمشق، لكنه أتْبع أذرعات (درعا الحالية، شمال المفرق) إلى جُند الأردنّ، فتكون المفرق –وفقاً لتحديده– ضمن جُنْد الأردن وليس جند دمشق[٩].

وكانت في العهدين الأيّوبيّ والمملوكيّ تتبع لدمشق، وقد حَمَلت منطقة المفرق وجوارها حتى الرمثا اسم الصويت[١٠]، وهو إقليم ذكره شَيخ الرَّبوة وابن فضل الله العُمريّ من توابع عجلون من أعمال دمشق[١١]. أمّا في العهد العُثمانيّ، ورغم عدم وضوح التقسيمات الإدارية قبل عهد التنظيمات، فيظهر أن المفرق كانت أولاً جزءاً من لواء حَوْران، ضمن ناحيتي بني جُهمة وبني الأعسر، وجرى إلحاقها إلى لواء عجلون في مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، ثم استقرَّت تبعيتها إلى قضاء عجلون بعد إقرار التنظيمات العُثمانيّة[١٢].

ورغم اقتضاب المادَّة الجغرافيّة وإفادات الرَّحَّالة حول المفرق وجوارها مقارنة بغيرها من الأماكن الواقعة على درب الحجيج، فمن المؤكَّد أن المنطقة كانت معمورة في العصور القديمة، وكَشَفت البحوث الأثريَّة عن وجود آثار في نواحي المفرق يرجع أقدمها إلى العصر الحجريّ القديم (٥٠٠.٠٠٠ –

١٠.٠٠٠ ق م تقريباً)، فهي –بذلك– من المواطن التي عاش فيها الإنسان الأوّل، اعتماداً على الأدوات الصوانيَّة التي عُثر عليها في وادي الحارث (غرب الأزرق) والخناصري (بين المفرق وإربد)، واشتملت هذه الُّلقَى الصوانية على عدد من الفؤوس اليدويّة والمفارم والمكاشط[١٣]، كما دخلت منطقة المفرق تحت حكم الأنباط بعد توسُّعهم شمالاً إلى نواحي دمشق[١٤]، وكان من آثارهم فيها مدينة أُمّ الجمال (١٢كم شرقي مدينة المفرق) المبنيَّة من الحجارة البركانيّة السوداء[١٥].

وكانت المفرق جزءاً من إقليم مشهور يُعرف بحَوْران، ويحمل إرثاً تاريخياً ممتدّاً منذ حقبة ما قبل الإسلام، وهو إقليم ممتدّ يشمل جزءاً من شمال الأردن وجنوب سوريا بما فيها الجولان، وقاعدته مدينة بُصْرَى، ليس بينها وبين المفرق إلا نحو ٤٠ كم، وأتاح قُرب المسافة بينهما للرَّحَّالة سويله مز أوغلي –وهو في المفرق– مشاهدة أنقاض مدينة بُصْرَى التي يُطلق العُثمانيّون عليها اسم: (اسكي شام)، أي الشام القديمة[١٦]؛ وبالتالي فإنَّ المفرق ومشاريقها تقع على الطريق السلطاني (طريق تراجان) وعليها مسير المسافرين وقوافل التُّجَّار بين الشّام والحجاز[١٧]، ووجدت بعض بقايا الأعمدة أو الأحجار الميلية المتضمنة لمقدار المسافات بين بصرى وعمان على طريق تراجان في قرية الباعج (شرق المفرق)[١٨]، وقد مرّ بالمفرق –أو بأطرافها– امرؤ القيس في رحلته إلى ديار الروم، بقوله:

فلمّـا بَـدَتْ حَـوْرَانُ فـي الآلِ دُونَهـا نَظَـرْتَ فلـم تَنْظُـر بعَينِيـك منظَـرَا[١٩]

التسمية والمدلول:

حمَلَت المفرق اسماً قديماً هو الفَدَّيْن، وهو الضبط الذي قيَّده ياقوت وسبط ابن الجوزيّ بالشكل دون الحرف[٢٠]، وخالفهما الفيروزآبادي في جعل الدال المشددة مكسورة عوض الفتح، أدرجه في مادة فَدَد، وعرَّف به: «الفَدِّينُ: موضعٌ بحَوْرانَ، منه: سعيدُ بنُ خالد العُثمانِيّ، ادَّعَى الخلافةَ أيامَ هارون! »[٢١]، وتابعه الزبيدي على ذلك الضبط بكسر الدال، ونقل نصّه، ووجَد في بعض نسخه أن العُثمانيّ المذكور ادَّعى الخلافة في زمن المأمون[٢٢]، وهو الصواب.

ويظهر أن ضبط ياقوت وسبط ابن الجوزي هو الأدْنى للصواب، تثنية للفَدّ، وهو الشقّ في الأرض؛ وبه سُمي المزارعون: الفدَّادين، لأنهم يحفرون الأرض، يقال: فدَّت الإبلُ الأرضَ: شدختها بخفافها من شدَّة وطئها، ومنه الفَدَّان: الثوران اللذان يُقرن بينهما للحراثة[٢٣]. والداعي لترجيح ضبط ياقوت وسبط ابن الجوزي راجع لعدّة اعتبارات، منها: أقدميَّة الضبط لديهما، ولكونهما عاشا في الشّام

مدّة من حياتهما فهما أقرب لبيئة الاسم وأعْرف به من الفيروزابادي الفارسي الأصل وإن كان قد زار الشام في إطار رحلته الواسعة، ولأن ياقوت جغرافيّ له اطِّلاع واسع على كُتُب الجغرافيّين ومصنَّفاتهم، ومُتَحرٍّ الضبطَ في كلّ الأسماء التي أوْردها.

وأرجَعَت بعضُ الدراسات مدلول التسمية بأنها تعني الحصن أو القصر[٢٤]، اعتماداً على ما أوردته معاجم اللغة من أن الفَدَن هو القصر المَشِيد أو الضخم[٢٥]، وبالرغم من وجود حصن بالمفرق لبعض سُكَّانها في العصرَين الأمويّ والعبَّاسيّ، ممَّا يأتي بيانه، فإنَّ تقليب لفظة الفَدَن على الوجوه المختلفة لا يستقيم مع التسمية التي حملتها «الفَدَّين» ويصعب إسقاطها عليها، فضلاً عن الفارق في المدلول بين الحصن والقصر الضخم! فإن كان على الجمع فهو أفْدان، وإن كانا حصنين على التثنية فحقهما أن يكونا: فَدَنان، وعلى تصغير لفظة الفدن فهو: الفُدَيْن، وبه سميت إحدى القرى الواقعة في الجزيرة (في سوريا حالياً) على نهر الخابور، أحد روافد نهر الفرات[٢٦].

ارتبطَت الفدَّين بأحفاد خليفتين من الخُلفاء الراشدين، هما الخليفة أبو بكر الصدِّيق (حكم ١١-١٣هـ/ ٦٣٢-٦٣٤م)، والخليفة عُثمان بن عفَّان (حكم ٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٤-٦٥٦م)، وحفيد الأول منهما هو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ت ١٢٦هـ/ ٧٤٤م)، وهو فقيهٌ ومُحدِّثٌ ثقة، وكان أحد أربعة رجال من فُقهاء المدينة المنورة، كان الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (ت ١٢٦هـ/ ٧٤٤م) قد اسْتدعاهم إلى دمشق لمباحثتهم في مسألة فقهية في سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م، وهم . إضافة لعبد الرحمن .: ابن أبي الزناد، ومحمد بن المنكدر، وربيعة الرأي، فلما وصلوا إلى «الفدين من أرض حَوْران» توفّي عبد الرحمن بن القاسم، ودفن بها[٢٧].

وأمّا الثاني، فهم بعض أحفاد الخليفة عُثمان بن عفَّان رضي الله عنه، الذين كانت إقامتهم بالفدَّين خلال العصر الأمويّ والعصر العبَّاسيّ الأوَّل، ويرد من بينهم اسم سعيد بن خالد بن عمرو بن عُثمان بن عفان، أبو عُثمان ويقال أبو خالد القُرشيّ الأمويّ، وهو أيضاً محدِّثٌ، أصْلُه من المدينة وسكن دمشق، وكان من أكثر الناس مالاً، وكانت قرية الفدين من ضمن أملاكه، ويُشار له بأنه «صاحب الفدَّين». وكان يقول إذا برقت السماءُ: أمطري حيث شئتِ؛ فما تُمْطرين إلَّا على بلدٍ لي فيه مالٌ[٢٨]. وكانت ابنته أُمّ عُثمان متزوّجة من الخليفة هشام بن عبد الملك (حكم ١٠٥-١٢٥هـ/ ٧٢٤-٧٤٣م)، والأخرى واسمها سَعْدة وتكنى بأُمّ عبد الملك عند الوليد بن يزيد (حكم ١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٣-٧٤٤م)، وكان مسكنه . قبل أن يلي الخلافة . قريباً من الفدَّين بالأزرق، على ماء يسمى الأغدف (وادي الغدف حالياً)[٢٩]. ونقل الشيخ عز الدين التنوخي عن كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني أنه كان ليزيد بن

عبد الملك، والد الوليد، قصر بالفدّين إضافة إلى عدَّة قصور أخرى في زيزياء والأزرق والأغدف يتنقَّل إليها للصيد[٣٠]، ولم أقف عليه في كتاب الأغاني.

وكان الوليد قد عاد سعيد بن خالد في مرضه، فلمح أخت زوجته واسمها سلمى، ووقَعت في قلبه، فطلَّق أختها وسعى في الزواج منها، فتزوَّجها وهو خليفة، وكان والدها قد رفض تزويجه إيَّاها، وأرسل الخليفة هشام إلى سعيد يحثّه على عدم الموافقة: «أيريد الوليد أنْ يكون فحلا لبناتك، يُطلق واحدة ويتزوَّج واحدة!»، وتراسل الوليد مع أبيها بأبيات عديدة من الشعر يسترضيه ويتقرَّب إليه، واستغرَقت أخبار الوليد مع سلمى وأبيها حيّزاً من سيرته وما تُبودل بين ثلاثتهم من أشعار.

وممَّا يروى أن الوليد تحيَّل مرَّة لرؤية سلمى بالفدَّين، فلمَّا وصل القرية «رأى رجُلاً يبيع الزيت قريباً من منزل سعيد فأخذ ثيابه ولبسها، وساق حمار الزيت حتى أدخله قصر سعيد، وهو يُنادي: مَن يشتري الزيت؟ فخرجت الجواري فنظرن فقالت جارية منهنَّ لسلمى: يا سيّدتي، ما رأيت إنسانا أشْبه بالوليد من هذا الزيَّات ابن الخبيثة، انظري إليه، فاطَّلعت سلمى فقالت للجارية: ويحك هو والله الوليد! قد والله رآني فقولي له يا زيَّات أخرج لا نريد زيتك ...»[٣١]، وله مع سلمى أخبار طويلة وأشعار كثيرة.

ولا تُستغرب هذه الصلة بين أُمراء الأسرة الأمويّة والمفرق، وتردّدهم عليها، لقُربها من القصور العديدة التي أقاموها في الصحراء الأردنية (بادية الشام)، ومنها قصير عَمْرة الواقع في منطقة الأزرق (٧٠ كم شمال شرق عمان) ابتناه الوليد بن عبد الملك سنة ٩٢هـ/ ٧١٢م[٣٢]، وقصر الحرَّانة (٦٥ كم شرق عمان) وفيه كتابة عربيّة بالخط الكوفي تؤرِّخ البناء في سنة ٩٢هـ/ ٧١١م[٣٣]، وقصر البرقع (نحو ٢٠ كم شمال غرب الرويشد)، وعليه كتابة كوفية تنسب البناء إلى الأمير . الخليفة فيما بعد . الوليد بن عبد الملك (حكم ٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م)، وتؤرِّخ البناء في سنة ٨١هـ/ ٧٠٠م[٣٤]، وقصر الموقَّر الذي شيَّدهُ يزيد الثاني ابن عبد الملك[٣٥] . وقيل رمَّمه على أثرٍ روماني[٣٦] . وقد ورد ذكْر قصر الموقَّر في أشعار العصر الأمويّ[٣٧]، وقصر حمَّام السراح (٣ كم شرقي قصر الحلابات)[٣٨]، وقصر الطوبة (في وادي الغدف، ٦٠ كم جنوب شرقي قصر المشتى)، ويعود لعهد الوليد الثاني (١٢٦هـ/ ٧٤٤م)[٣٩]، إضافة إلى الحصون والقصور الرومانية التي عمل الأمويون على ترميمها واتَّخذوها قصوراً لهم، مثل قصر الحلابات (٣٠ كم شمال مدينة الزرقاء)، وهو في الأصل قلعة رومانيَّة[٤٠]، وبالقرب منه بقايا جامع أمويّ صغير، أقيم في حدود سنة ١٠٤هـ/ ٧٢٢م[٤١]، وقلعة الأزرق (٨٠ كم شرق عمان) وهي قلعة ضخمة مبنية من حجر البازلت البركاني، وعليها كتابات يونانية تؤرخ

بناءها في سنة ٣٠٠م، ثم استخدمت كقصر لأحد الأمويين، وجرى ترميمها في العهد المملوكي وأرخ النقش الذي يعلو المدخل تاريخ تجديدها في سنة ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م[٤٢].

وارتبَطَت الفدَّين بخبرٍ ثالث يتَّصل برجُل آخر من أهل الفدّين، وهو أيضاً من أحفاد الخليفة عُثمان بن عفَّان، واسمه يَقْرُب من اسم صاحب الفدين المتقدّم ذكره، بزيادة اسمين في سياقته، وهو سعيد بن خالد بن محمد بن عبد اللَّه بن عمرو بن عُثمان بن عفّان بن أبي العاص بن أمية الأمويّ العُثمانيّ الفدّينيّ، خرج في أيام المأمون وادّعى الخلافة بعد أبي العَمَيطر السُّفيانيّ، أي أن خروجه بعد سنة ١٩٥هـ/ ٨١٠م، وهي السنة التي بدأت فيها العديد من الثورات في بلاد الشام ضدّ المأمون عقب وقوع النزاع على الخلافة بين الأخوين، وساق ابنُ عساكر خبر خروجه على الخلافة، ونقله عنه ياقوت الحمويّ والصفديّ: «وكان الفدَّينيّ قد خرج وأغار على ضياع بني شهيب السعديّين، وجعل يطلب القيسيّةَ ويقتلهم ويتعصَّب لأهل اليمن، فأَرسل إليه محمد بن صالح بن بَيْهَس أخاه يحيى في جيش، فلما كان بالقُرب من حصنه المعروف بالفدّين، هرب منه العُثمانيّ، فوقفَ ابنُ بيهس على الحصن حتى هدمه وخرّب زَيزاء ونهبها، وتحصَّن العُثمانيّ في عَمَّان، في قرية يقال لها ماسوح، وصار يحيى بن صالح إلى عَمَّان واستمدّ العُثمانيّ بزيوندية الغَوْر وبأراشة[٤٣] وبقوم من غطَفان وانضمَّت إليه عيَّارة من بني أمية ومَن جلا عن دمشق من أصحاب أبي العَمَيطر ومسلمة فصار في زُهاء عشرين ألفاً، فلم يزل يحيى بن صالح يحاصره ويحاربه حتى أجلاه عن القريتين جميعاً، فصار إلى قرية حُسبان وبها حصن حصين فأقام به وتفرّق عنه أصحابه»[٤٤].

وإذا كان ياقوت قد اقتصر في التعريف بالفدَّين على ذكر حادثة خروج الفدَّيني على المأمون، التي تقدم ذكرها، ولم يُقدم –على خلاف عادته– لهذا الخبر أي تعريف بالمكان، فقد تولَّى ذلك صفي الدين البغدادي الذي اختصر كتاب ياقوت وخلَّصه من الحكايات والأشعار، واستمدَّ التعريف بها من الحكاية المذكورة، لكنه وهم في إضافة ترجيح آخر يجعلها من نواحي زيزياء بقوله: «قريةٌ من أرض حَوْران وقيل: حصن قرب زيزاء بالبَلْقَاء»[٤٥].

أمَّا تسمية المفرق؛ بفتح الراء أو كسرها؛ مُجَوَّزٌ على الوجْهَين[٤٦]، على نحو مَفْرق الشعر أو الطريق، فقد وردَت في أواخر العهد المملوكيّ، وأقدم من ذكرها بهذا الاسم ابن طُولون الصالحيّ في تعداده لمنازل الحج الشّاميّ في رحلته سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م[٤٧]، ثم غلَبَت هذه التسمية على المنطقة في العهد العُثمانيّ وتردَّد ذِكْرها على هذا الرسم وتُنوسي اسم الفدين، فذكرها باسم المفرق –إضافة لابن طولون– كلاً من الجَزيريّ، وقُطب الدين النهروانيّ، وكبريت المدني، وإبراهيم بن محب الدين

الدمشقي (ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م) في قصيدته التي نظمها في منازل الحج، ومرتضى بن علوان، وعبد الغني النابُلسيّ، والسويديّ البغداديّ، ومحمد أديب بن محمد درويش، والمكناسيّ، والزَّيَّانيّ، والسنوسيّ، وسويله مز أوغلي[٤٨].

وانفرد الرَّحَّالة كبريت المدني بذكر اسم آخر حملته منطقة المفرق إلى جانب هذا الاسم، وهو: وادي القديم[٤٩].

وقدَّم بعضُ الجغرافيّين تفسيرات لمعنى تسميتها بالمفرق، فالرَّحَّالة كبريت فسَّر التسمية «لأن الحُجَّاج إذا رجعوا تفرّقوا فيه»[٥٠]، ووافقه على ذلك الشيخ الخياري بقوله: «وسبب تسميته بذلك أن أهل القرى كطرابلس ونابلس ومَن وصل مع الحاج من أهل البَلْقَاء والزرقاء يتفرّقون منه إلى أوطانهم؛ فلذلك يسمّونه المفرق»[٥١] ولا يبعد هذا التفسير عن قول عبد القادر شلبي: «والسبب في تسميته بالمفرق لأن الحجاج يفترقون فيه عن بعضهم، ومن يرغب منهم يذهب في دربه من منزل الشام»[٥٢]، ومثله أيضاً قول الرَّحَّالة التونسيّ محمد السنوسيّ بقوله: «سمّي هذا المكان بالمفرق لتفرّق الحجّ فيه بغير انتظام»[٥٣].

أما الشيخ البوسنوي، مصطفى، فيشير في منظومته الضامة لمحطات الطريق ومنازله أن مدلول هذه التسمية لكونه فاصل بين المواضع المعمورة والصحراء، وسماه: «مفروق»، وألمح إلى أن هذه المعلومة مستمدة من بدو تلك المنطقة، وترجمة عبارته:

يقول الأعراب: هذا المكان فاصل للصحراء ليس به ماء؛ فلا يغرق به أحد[٥٤]

وأورد الشيخُ الرَّحَّالة السويديّ البغداديّ وجهَين آخرين في سبب تسميتها باسم «المفرق»، يتَّفق في الرأي الأول مع كلام البوسنوي المتقدّم، قال: «سمّي بذلك لما قيل إنه فارقٌ بين العمارات وغيرها. ويحتمل أنه اسم مكان للفَرَق –بفتحتين– وهو الخوف، وذلك لانقطاع العمارات عنده، فيُتَوهّم الخوف من عدوّ وقلّة زاد وماء وعطب دابة»[٥٥].

ويظهر أن الرأي الأوّل هو الأظهر والأدنى للصواب، على نحو تسميتهم لموضع تشعّب النهر بالمَقْسِم، فمن المفرق تتفرع الطرق إلى درعا، وإربد، وجرش والزرقاء[٥٦]، أمّا قول البوسنوي والسُّويديّ فلا وجه له، إذ إن القولَ بانقطاع المفرق عن العمارة ومواطن السكن لا يتوافق مع وجود الكثير من القرى والبلدات والتجمُّعات السُّكَّانية حولها، وقد نوَّه الرَّحَّالة كبريت المدني بوجود الكثير من القُرى والضياع بجوار المفرق[٥٧]، إضافة إلى انتشار القبائل البدويّة في تلك النواحي، مع قُرب المفرق

أصلاً من درعا ومن الزرقاء وغيرهما من البلدات المعروفة فضلاً عن قُربها النسبيّ من مدينة دمشق، ودفعاً للمُقترح الثاني الذي قدّمه السويديّ؛ فإن الحُجَّاج قد واجهوا في طريقهم بين الشام والحجاز الكثير من المواضع الأخرى المنقطعة التي ينعدم فيها الأمن بغارات اللُّصوص وقُطَّاع الطُّرُق، وهذه أولى بحمل التسمية المتولدة من «الفَرَق = الخوف» عوضاً عن المفرقَ.

المفرق ممرّ لركب حجّاج الشام:

كانت الطريق المسلوكة عند الحُجَّاج والتُّجَّار فيما بين الشّام والحجاز أو مصر تمرّ من بُصْرَى ومنها إلى الزرقاء، غير أن هذا الطريق أخذ بالتحوّل إلى الغرب قليلاً ليأخذ من أذرعات (درعا) إلى المفرق، أو ينزاح إلى الغرب أكثر ليمرّ من المزيريب ومنها إلى الرمثا ثم إلى المفرق (انظر الخارطة في آخر الدراسة)، ويبدو أنَّ هذا التحوّل قد بدأ في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي بدلالة انعدام ذكرها لدى الجغرافيين والرحالة العرب قبل ابن طولون الصالحي الذي ذكرها في رحلته سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م[٥٨]، ولهذا فقد ارتبطَت المفرق بالطريق التي يسلكها حُجَّاج الشّام ومَن رافقهم من حُجَّاج الجزيرة والمناطق الشمالية كالقوقاز وحُجَّاج أذربيجان وبعض حُجَّاج إيران، إضافة إلى الحُجَّاج القادمين من شمال الدولة العُثمانيّة، ولهذا فقد تردَّد ذكرها في كُتُب الرحلات ومنازل الحجّ، خاصَّة في العهد العُثمانيّ.

وإلى المفرق يكون انتهاء المرافقين لأهاليهم في خروجهم للحجّ، فمنها يعود مَن لا يرغب منهم بأداء الحجّ إلى دمشق أو إلى المنطقة التي خرج منها، بعد أنْ يودع أهله أو أصحابه[٥٩].

وعادة ما تكون إقامة الركب بالمفرق للاستراحة لمدة يوم أو أقلّ دون نصب الخيام، أو المبيت بها لليوم الذي يليه، تبعاً لما يُقرّره أمير الحجّ الشاميّ، كما يبرزه الجدول التالي:

مدة السير	المغادرة إلى	مدة الإقامة بالمفرق	مدة السير، أو المسافة	القدوم من	الرَّحَّالة
.	أذرعات (درعا)[٦٠]	من المغرب إلى منتصف الليل	من الصباح إلى قرب المغرب	الزرقاء	قطب الدين النهروالي
من الفجر إلى المغرب[٦١]	الزرقاء	من المغرب إلى أوائل الفجر	من الفجر إلى بعد المغرب	أذرعات	ابن طولون الصالحي
٩ ساعات[٦٢]	الزرقاء	.	١٣ ساعة	المزيريب	هبري أفندي
.	الرمثا=المزيريب[٦٣]	من العصر=فجر اليوم التالي	من الصباح إلى العصر	الزرقاء	الخياري

مدة السير	المغادرة إلى	مدة الإقامة بالمغرق	مدة السير، أو المسافة	القدوم من	الرَّحَّالة
٢٠ ساعة	الزرقاء[٦٤]	نحو ٤ ساعات	(الساعة ٣ . ٧ مساءً)، ٤ ساعات	المزيريب	مرتضى بن علي بن علوان
من العصر حتى منتصف الليل[٦٥]	الرمثا	من الصباح إلى العصر	من العصر إلى صباح اليوم التالي	الزرقاء	عبد الغني النابلسي
٩ ساعات[٦٦]	عين زرقة	.	٩ ساعات	المزيريب	عبد القادر شلبي
١٢ ساعة[٦٧]	عين زرقة	.	٧ ساعات	المزيريب	الحاج إبراهيم
٩ فراسخ[٦٨]	الزرقاء	.	١٣ فرسخ	المزيريب	عبد الله السويدي
١٢ ساعة	عين الزرقاء	.	١١ ساعة	المزيريب	ابن محمد درويش
١٢ ساعة	الزرقاء	من الصباح إلى العصر	الليل كله	المزيريب=الرمثا	ابن عُثمان المكناسي
١٢ ساعة	الزرقاء	.	١٠ ساعات	المزيريب	أبو القاسم الزياني
.	الرمثا	.	.	الزرقاء	السنوسي
.	الزرقاء	.	٨ ساعات	الرمثا	سويله مز أوغلي

ويظهر الجدول المتقدم اشتمال كتب الرحلات ومنازل الحج على تقدير للوقت الذي يحتاجه المسافر للوصول إلى المفرق، والوقت الذي يستغرقه السير منها إلى المنزل الذي يليها، وقد استخدم غالبية الرحالة الساعة كوحدة قياس للمسافات، واستُخدم – بدرجة أقل– تقدير المسافات بناءً على أجزاء النهار والليل ومواقيت الصلوات الخمس؛ كقول بعضهم: "من الصباح إلى العصر أو إلى المغرب"، أو "الليل كله"... إلخ، وشذّ الرحالة عبد الله السويدي عن جميع الرحالة باعتماد الفرسخ كوحدة قياس للمسافات، جرياً على منهجه الذي اعتمده في كامل رحلته، والفرسخ يقدر بأربعة أميال، وقيل: ثلاثة، والميل: أربعة آلاف ذراع (نحو ثلث فرسخ)[٦٩]، وقدَّر هنتس الفرسخ الواحد بالمقاييس الحالية بحوالي ٦ كم[٧٠]، فتكون المسافة بين المفرق والمزيريب على التقدير الذي ذكره السويدي (١٣×٦) ٧٨ كم، وهي في الواقع لا تتجاوز ٥٠ كم!، وبين المفرق والزرقاء (٩ × ٦) ٥٤ كم، وهي تبلغ حالياً نحو ٤٢ كم.

السكان:

بينما تُشير المصادر التاريخية المبكرة إلى سُكنى المفرق في القرون الثلاثة الهجري الأولى من عمر الدولة الإسلامية، وأنها كانت قرية، فقد تجاوَزَت المصادر الجغرافيّة وكُتُب الرحلات –المنتمية

لأواخر العصر المملوكي وما تلاه في العهد العثماني– الإشارة للسُّكَّان ولم تُقدّم أية تفصيلات عن الحياة الاجتماعيّة فيها، ولا عن الزراعة وتربية الحيوانات ومصادر رزق الأهالي وسُبل عيشهم.

كما لم تتضمّن أي إشارة لمظاهر التجارة أو نَصْب الأسواق في المفرق، مما تحفل به أغلب البلدات والمدن الواقعة في طريق سير قوافل الحج، ولعل مرور موكب الحجّ منها قد وفَّر لبعض سُكَّان المفرق والقُرى المجاورة لها فرصة لبيع منتجاتهم على الحُجَّاج، كما هو الحال لدى أهالي الرمثا الذين كانوا يُلاقون الحُجَّاج ببعض منتجاتهم كالفطائر والبيض والخبز وغير ذلك من المأكولات[٧١]، وفي العادة فإنَّ مرور ركب حُجَّاج الشام من المفرق يكون في أواخر شهر شوال أو مطلع ذي القعدة، ويُتوقَّع وقت مرورهم في طريق العودة في مطلع شهر صفر من السنة التي تليها، وربما لم تكن الفائدة التجاريَّة ذات جدوى في مرحلة ذهاب الركب، بسبب قُرب المفرق من المزيريب التي تشهد قيام «الأسواق العامرة بما يحتاج إليه الحُجَّاج، بل بكل ما يتِّجر به، وفي هلال ليلة ذي القعدة يوقد ما في الوادي من الدكاكين، ألفاً ونحوه، وتُعرف بالوقدة، وتوقد الشموع والمشاعل في الركب، وتكون ساعة عجيبة»[٧٢].

إن هذا الإغفال الواضح لسكان المفرق، وعدم الإشارة إليهم في مدونات رحالة العهد العثماني يحتاج إلى تفسير ومزيد من البحث، بل لم يرد للمفرق ذكر فيما نُشر من دفاتر الطابو العثمانية، خاصة وأن بعض القرى والمزارع الصغيرة الواقعة في أطراف المدينة أو في محافظة المفرق عموماً قد ورد تقييدها في هذه الدفاتر والإشارة لعدد سكانها وتعداد مزروعاتها، مثل قريتي: خطلا ودير ورقة (دير ورق حالياً)، التي ورَدَ ذكرهما في دفتر الطّابو رقم (٩٧٠) والذي يعود إلى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[٧٣]، وقرية عين الواقعة في قضاء ارحاب إلى الغرب من مدينة المفرق التي ورد ذكرها في دفتر طابو الطّابو رقم (٩٩) والذي يرجع تاريخه إلى سنة ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م[٧٤]، وغيرها من القرى والبلدات والمزارع. ويمكن اعتبارقلة الماء في المفرق، واعتماد الأهالي على ما يتجمع من مياه الأمطار في الصيف . كما يرد بيانه تالياً . سبباً في عدم الرغبة في سكناها.

الوصف الطوبغرافي والعمراني:

أشار الجزيري إلى وجود تل بالمفرق[٧٥]، ووصف عبد الرحمن هبري المنطقة في سنة ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م بأنها برية ليس فيها قلعة ولا قرية[٧٦]، وقدم الرَّحَّالة الخياري في رحلته من المدينة إلى اصطنبول في صفر عام ١٠٨٠هـ/ ١٦٦٩م وصفاً جغرافياً للمفرق وللطريق فيما بين الزرقاء

والمفرق التي سلكها الحُجَّاج في عودتهم من موسم حج سنة ١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م، قال بعد أن غادر الزرقاء: «فسرنا مبادرين بغلس وقد أخذت العجلة من الحُجَّاج بالنفس، علونا أول المسير تلالاً مرتفعة، وهبطنا وهادًا تكاد أن تكون ممتنعة، حتى وجب فرض العصر، واقتضى الكلال من المسير الجمع والقصر، فنزلنا منزلاً بين وهاد وربى، مخضر العذبات يميلها الهواء طربًا، قد اشتدّ به سُلطان الهوى فلم يبق عمود فسطاط قائمًا إلا حركة يكاد يهوى أو هوى، وهذا المنزل يسمّونه: المفرق... وقد أقمنا به إلى أن صلّينا به العشائين وذهب ألم التعب والأين، واستمرَّينا به نستعذبُ السمر، ونستقربُ طلوع القمر؛ فإنه نادى الأمير أن لا رحيل ولا مسير حتى يسطع نوره وتتكشف ستوره، فاستمرَّينا نتلوا القرآن ونتدارس التبيان، نُحيي به الليل، ونقوّي ما ضعف من الحيل، إلى أن لاح لنا القمر وقد ملّ السامرون السمر»[٧٧].

أما الشيخ عبد الغني النابلسي الذي مرَّ بالمفرق في طريق عودته من أرض الحجاز سنة ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م، فقدم صورة مغايرة لما حكاه الخياري، فبعد أن أقام بالزرقاء شدّ الرحال مارًا بوادي البطم وصولاً إلى المفرق، قال: «ثم أصبح صباح يوم الأربعاء، وهو اليوم الثاني من صفر الخير، فنزلنا في أرض المفرق تحت ظلال الخيام، وليس هناك ماء ولا قلعة ولا بيوت. فما هي دار مقام، إلى أن صلّينا صلاة العصر. ثم ركبنا وسرنا في ذلك الطريق السهل، فمررنا على قرية الرمثا...»[٧٨]. ومثله الرَّحَّالة عبد اللَّه السويدي البغدادي في رحلته إلى الحج سنة ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤، وصفها بأنها «برّ لا عمارة فيه ولا ماء»[٧٩].

ووصفها الرَّحَّالة الوزير السفير ابن عُثمان المكناسي في رحلته سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م بأنها بيئة صحراوية، قال: «وهذه البلاد كلّها بسيطة ذات انفساح كثير، صحراوية نباتها الشيح والحرمل وما أشبه ذلك، فظللنا مقيمين هنالك في حرٍّ شديد»[٨٠].

وتعرَّض الرَّحَّالةُ سويله مز أوغلي إلى طبيعة أراضي المفرق وتربتها، وكان قد مرَّ بالمفرق في أواخر العهد العُثمانيّ (سنة ١٣٠٦هـ/ ١٨٩٠م) قال: «والأراضي هنا ترابية أيضاً، إلا أن بعض أماكنها صخرية، والطريق أحياناً مستوٍ، ويمرّ أحياناً أخرى بين الممرّات الواقعة بين بعض التلال الصغيرة»[٨١].

أما المعالم العمرانيّة، فيُشير الجزيريّ إلى وجود خانٍ قديم بالمفرق، ولهذا فقد أطلق على البلدة

اسم: «خان المفرق»[٨٢]، ونفى النابلسيّ والسُّويديّ وجود أي مظاهر عمرانية فيها، ولم يُشاهدا أي قلاع أو بيوت أو أثر عمرانيّ[٨٣]، ولعل ذلك يرتبط بمكان نزولهم في أراضي المفرق، بما يُتيح لهم مُعاينة الخان أو القلعة التي بها، خاصة وأن دفتر صرة العربان رقم (٢٤٢٢) والمتضمّن تقييد مُخصَّصات رجال القبائل وبعض الموظَّفين المسؤولين عن خدمة القلاع والآبار في سنة ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م . المدرجة صورته تالياً . يُشير إلى قلعة المفرق ومقدار المبلغ الذي يتقاضاه المسؤول عن رعايتها وهو ٢٠٠ بارة عثمانية[٨٤]، ومرّ بالقلعة في العام الذي يليه (١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م) الرَّحَّالة محمد أديب وأكد وجود القلعة ولكنها خراب[٨٥]، وبقيت على خرابها حتى زوالها في القرن العشرين، إذ مر بها الرَّحَّالة التونسي محمد السنوسي في سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١ وأشار إلى وجود قلعة خربة بالمفرق[٨٦]، وهي القلعة التي سمَّاها سويله مز أوغلي قلعة «الفدين» ووصفها بأنها قلعة مهجورة، واستطرد بالقول مبيّناً الغاية التي تم إنشاء القلعة من أجلها دون أن يحدد تاريخ بنائها، قال: «وتوجّهت نحو قلعة الفدّين الواقعة إلى اليسار بعد أن ركبت هجيناً، وعندما شاهدتُ أنقاض آثار كهذه، والتي أقيمت بتضحيات من أجل المحافظة على طريق الحجّ، عدتُ أدراجي متألمّاً بطبيعة الحال وواصلت السير في الطريق»[٨٧]، ولم يُشر تقرير البعثة المرسلة في عهد محمد علي باشا في أواخر شهر صفر ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م، إلى أي أثر لقلعة بالمفرق، بل لم يذكر المفرق أصلاً، وإنما ذكر الرمثا وبعدها الزرقاء، وكان الفريق مُكلَّفاً بالكشف عن القلاع وبرك المياه وما تحتاجه من إصلاحات وترميمات على امتداد الطريق فيما بين دمشق ومَكَّة[٨٨]، ولعلها بلَغَت من الخراب والتدمير بحيث لا يُمكن استصلاحها، فلهذا أغفلها التقرير المذكور.

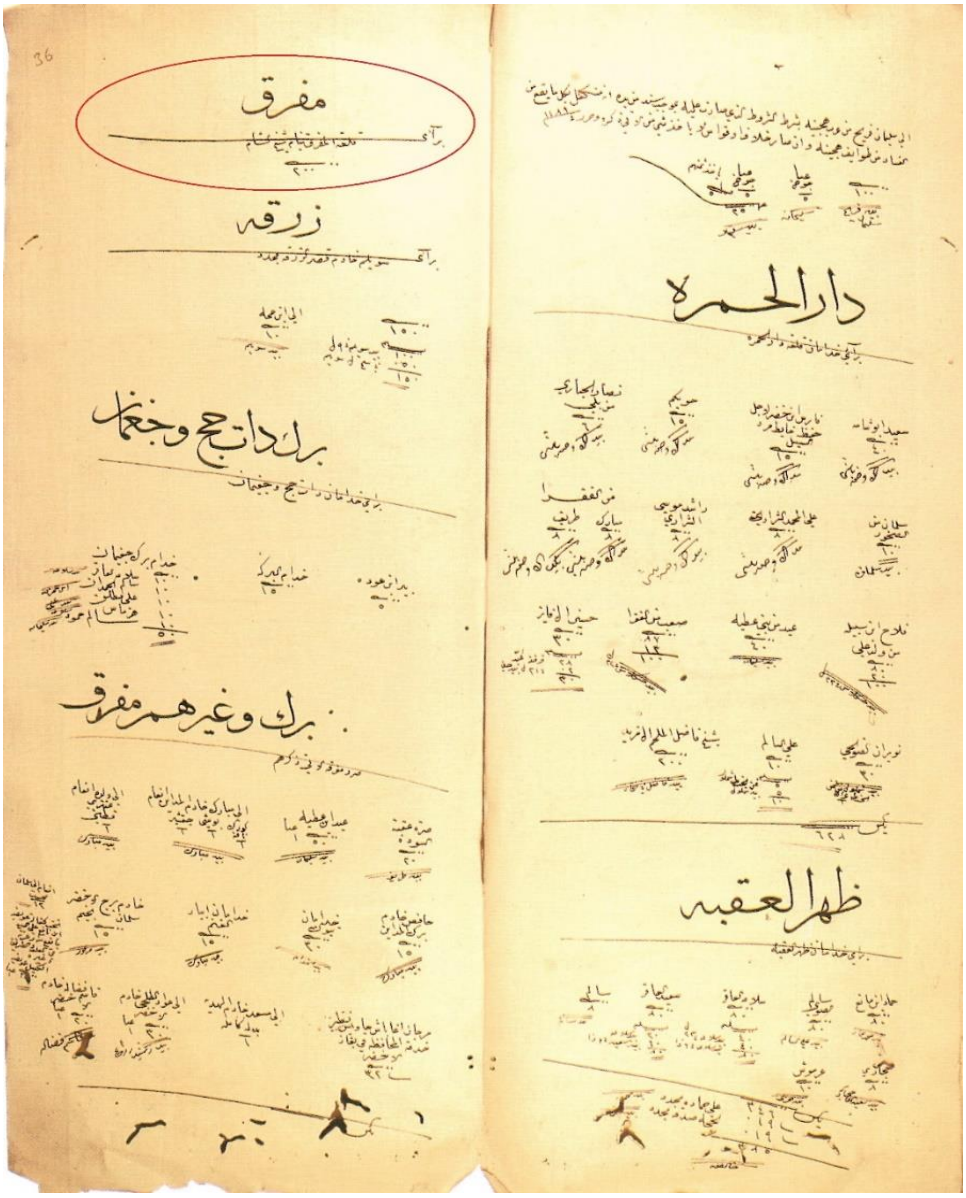

دفتر صرة العربان رقم (٢٤٢٢) سنة ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م.

المصدر: جاغلار: المحمل الشريف، ص ١٢٧.

الحالة المائية:

كان التزوُّد بالماء وحمله من أهم العناصر التي يحرص عليها المسافرون عموماً بما فيهم الحُجَّاج ويحتاطون عليه، وقد غلَبَ على أوصاف الجغرافيين والرحالة التي أطلقوها على المفرق الإشارة إلى قلّة المياه بها، بما ينعكس على استقرار الناس بها وغبتهم في سكناها، فقد وصفها الجزيريّ وهبري أفندي وعبد الغني النابلسيّ وعبد القادر شلبي والبوسنوي وعبد الله السويديّ ومحمد أديب بن محمد درويش وسويله مز أوغلي بأنها منزلة خالية من الماء[٨٩]. واضطرّ الفريق المكلَّف بالكشف على برك المياه على امتداد الطريق بين دمشق ومَكَّة، المشار إليه آنفاً، إلى حمل الماء من الرمثا إلى الزرقاء لانعدامه فيما بينهما[٩٠].

ولهذا؛ فقد اقتصر اعتماد أهل المفرق في شربهم والتزود بحاجتهم من الماء على مياه الأمطار التي يتم تجميعها في فصل الشتاء في البرك والأحواض، وقد عايَن الرَّحَّالة محمد أديب وجود بعض الجدران الحجريَّة المعدَّة لصدّ السيول وتجميع المياه على هيئة البرك والصهاريج[٩١]، على أن الماء الذي يكثر بها في فصل الشتاء يتسبب بسيول الوديان ووقوع الوحل الذي يعيق السفر، ولهذا نجد في أوصاف الرَّحَّالة الذين اجتازوا بالمفرق في فصل الشتاء التنويه بصعوبة السير بها، كقول الرَّحَّالة التونسي محمد السنوسي في طريق العودة من أرض الحجاز سنة ١٢٩٩هـ/ ١٨٨١م، قال: «وأرضه . أي المفرق . بما حمله المطر تتحلّ به كالعجين ولذلك كان مخيفًا، وتوالى المطر، ورأى الباشا حَسَن الإقامة خشية مزالق الإبل»[٩٢]. وعندما مر بها الشيخ الرَّحَّالة قطب الدين النهروالي في يوم السبت ١٢ صفر ٩٦٥هـ/ ٣ كانون الأول (ديسمبر) ١٥٥٧م نزل عليهم مطر خفيف، ولم يُشر لأي صعوبة في الطريق[٩٣].

ويلفت النظر إشارة الشيخ كبريت لوقوع السيول بها في أواخر فصل الربيع وبداية موسم الصيف، وكان مروره منها في طريق عودته من اصطنبول مرافقاً لركب حُجَّاج الشام في حدود ٢٥ شوال ١٠٣٩هـ/ أوائل شهر حزيران (يونيو) ١٦٣٠م، وكان وصفه لها بأنها «مسيل كثير الزلق»[٩٤].

ورغم قلَّة المياه بها فلم يشكل ذلك عائقاً أمام المسافرين والحُجَّاج، لتوفره في المواضع الواقعة قبل المفرق وبعدها، بالقدر الذي يمكن المسافر من حمله ويكفي حاجته، خاصة في المزيريب التي تسبق المفرق وتتوفَّر فيها عين ماء كبيرة تسمى عين البجة[٩٥]، إضافة إلى وجود بركة ماء مستحدثة في الرمثا قبل سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م[٩٦]، ثم قُربها من وادي الزرقاء الذي يليها، وهو ماء موصوف بالعذوبة[٩٧]، وكان ماء الزرقاء يجري في الصيف والشتاء بحسب إفادة الوزير المكناسي الذي مرَّ به صيفاً في أوائل شهر آب سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م، فأقام الحُجَّاج على أطراف الوادي واستقوا وغسلوا

ثيابهم[٩٨]، وأشاد التقرير المقدّم لمحمد علي باشا في سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م حول الموارد المائية على طريق حاج الشّام إلى وَفْرة الماء بالزرقاء، «وهي كثيرة المياه ويمرّ فيها مجرى نهر عين الزرقاء ومياؤها طيّب للغاية، وقد نبتت حوله أشجار الزقوم والناب بكثرة»[٩٩]. ولعله لأجل ذلك لم تعتن الدولة العُثمانيّة بإقامة البرك والأحواض بالمفرق لتجميع مياه الأمطار، أو باستنباط الماء وحفر الآبار، على خلاف معهودها في كثير من المواضع على امتداد طريق الحجّ الشاميّ.

وقد أشار الرَّحَّالة سويله مز أوغلي إلى الأوضاع المائية في المفرق، خاصة في الجهة الشرقية منها، وما يتوجَّب على الدولة العثمانية فعله لتوفير الماء، قال: «وهذا السهل يخلو من الماء وهو غير مأهول. وتحيط بهذا السهل تلال صغيرة وجبال، وإلى غربه تقع مدينة متهدّمة تسمّى خربة التمر[١٠٠]. وعلى بُعْد ألف متر من هذه المدينة نصبنا خيامنا للراحة. والمسافة من رمته (أي: الرمثا) إلى هذا المكان هي ١١ ساعة، ٤٤ كيلومتر، وممَّا يُؤسف له أن تترك هذه الأماكن برمتها لعدم وجود الماء فيها، لأننا إذا أخذنا الآثار القديمة الموجودة هنا بنظر الاعتبار، نجد أن هذه الأماكن كانت في السابق معمورة ويبدو أنه نظراً لعدم وجود المياه في ذلك الوقت أيضاً، فقد دفعت الحاجة إلى إقامة الأحواض الكبيرة وحفر الآبار وبذلت الجهود لإعمارها. ولو تم حَذْوِ حَذْوِ السلف واتُّبعَت الوسائل مثلما كانت موجودة فلن يبقى هناك أي عائق؛ إذ من الممكن الحصول على الماء، وذلك ليس بإقامة الأحواض وحفر الآبار فقط، بل بإقامة السدود في أماكن مناسبة أيضاً، إذ أن كمية كبيرة من الأمطار تسقط على هذه الأماكن في فصل الشتاء، ويستدلّ هذا من آثار السيول الكبيرة»[١٠١].

الخاتمة:

انحصرَ ذكر المفرق في ظل التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث في حقب تاريخية محددة، تمثَّلت الحقبة الأولى بالعصرين الأموي والعباسي الأول، وحملت فيها المدينة اسم "الفدين"، وتمثلت الثانية في الحقبة الممتدة منذ أواخر العصر المملوكي وحتى انتهاء الحكم العثماني، وحملت فيها اسم "المفرق"، واختفى تدريجياً اسم الفدين.

وأظهرت نصوص الرحالة ومؤلفي كتب منازل الحج أهمية موقع المفرق على طريق الحج الشامي، خاصة في أواخر العصر المملوكي، والعهد العثماني بتمامه . نظراً لانبساط طوبغرافيتها وعدم وجود العوائق في تضاريسها، وابتعادها من ناحية أخرى عن أطراف جبال عجلون تفادياً للمسالك

الوعرة، بما يسهل على قافلة الحج المرور في مرحلتي الذهاب إلى الحج والعودة منه.

وجرى استعراض إفادات الرحالة ومؤلفي كتب منازل الحج حول المفرق، والانطباعات التي قدموها حولها، خاصّة اتفاقهم على قلة المياه فيها، واعتمادها على مياه الأمطار، والذي انعكس على طبيعة استقرار السكان بها، وأيضاً وصفهم لطبيعة أرضها، كما قدَّمت بعض النصوص إفادات حول القلعة التي أصبحت خربة وداثرة في أواخر العهد العثماني.

وتوصَّلت الدراسة إلى الخطأ الذي شاع بين الباحثين في ضبط لفظة "الفدين" وهو الاسم القديم الذي حملته مدينة المفرق، وأن الخلط وقع في اعتبار الفُدَين . بالتصغير . هي ذاتها المفرق، ومن ثمَّ انعكاس ما تؤديه هذه اللفظة ومعناها في اللغة على أن فيها حصن عظيم، وهو خلط بين الفدين (المفرق) وبين موضع آخر يضبط بالتصغير (الفُدَين) يقع في العراق على نهر الخابور، وأن صواب ضبطها هو: الفَدَّيْن، تثنية للفدّ وهو الشق في الأرض، موافقة لتسميتها الحديثة التي تدل على تفرع الطريق عندها، وتفرق المسافرين منها إلى مدنهم وبلدانهم.

وتوصي الدراسة بضرورة الاهتمام بالدفاتر والسجلات العثمانية المتنوعة، خاصة دفاتر الصرة العثمانية، التي لم يُنشر منها سوى القليل، ولا تزال بعيدة عن تناول الباحثين والدارسين، وكذلك كتب منازل الحج العثمانية، التي اقتصرت هذه الدراسة على عدد يسير منها، وأن تتم ترجمة موادها وتستخرج منها كافة البيانات والإفادات عن المواضع الأردنية الواقعة على طريق الحج الشامي، وبضمنها مدينة المفرق.

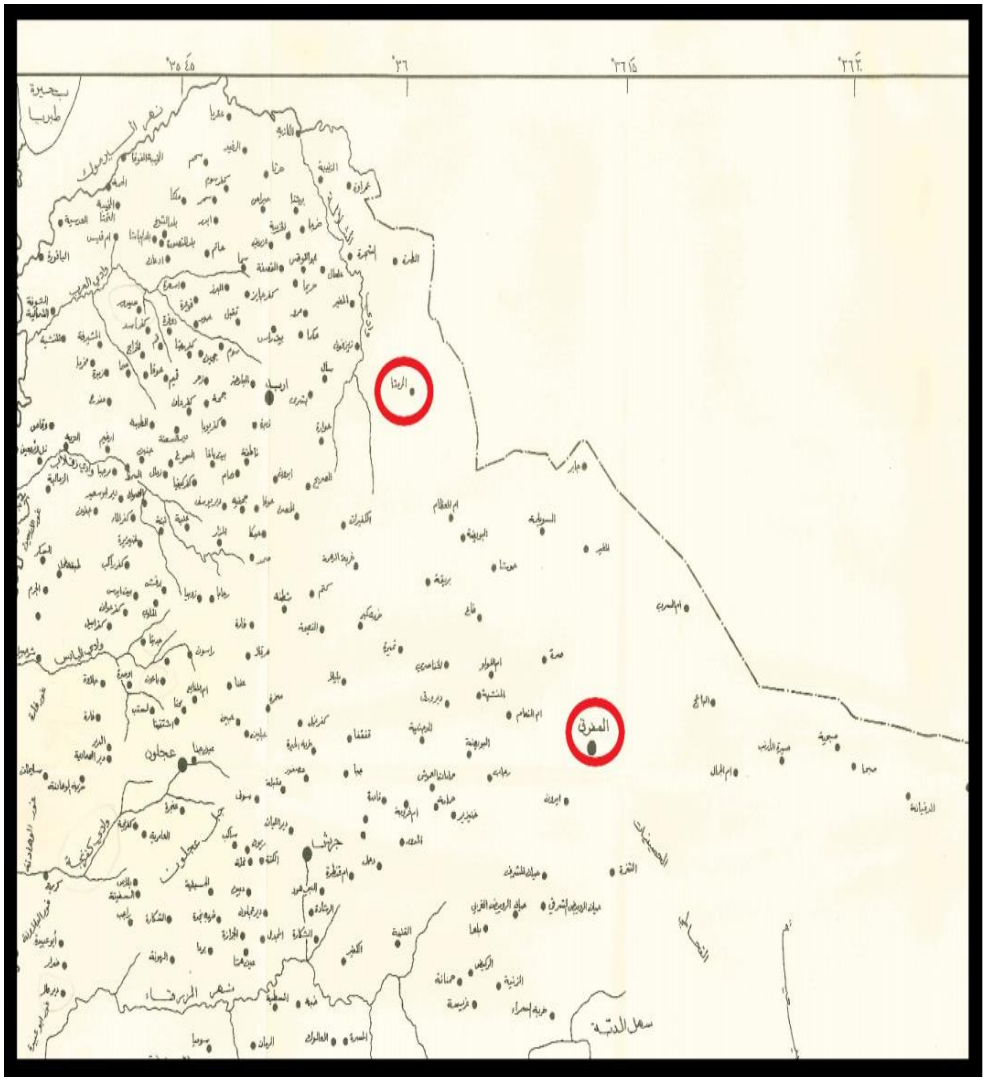

خارطة تُظهر موقع مدينة المفرق وما يجاورها، وموقعها على طريق الحج الشامي للقادمين من الرمثا

المصدر: الرواضية: مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه

(بدون رقم صفحة، ملحقة في آخر الكتاب)

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر المخطوطة:

- البوسنوي، مصطفى (ت نحو ١١٦٤هـ/ ١٧٥٠م): دليل المناهل ومرشد المراحل، مكتبة وهبي أفندي (السليمانية)، برقم ١٠٢٤.
- الحاج إبراهيم (كان حياً سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م): منازل الحج، ومسافة الفج للعج والبج من غير اللج، مخطوط، مكتبة عاشر أفندي (السليمانية) بإسطنبول، ضمن مجموع رقم ٢٤١/١.
- شلبي، عبد القادر المعروف بقدري: منازل الطريق إلى بيت الله العتيق، مخطوط، مكتبة آيا صوفيا (السليمانية)، برقم ١٤٦٩.
- مجهول: تقرير ناطق بالإصلاحات والترميمات اللازمة للقلاع وبرك المياه والموجودة في المراحل والمنازل الواقعة في الطريق بين دمشق الشام ومكَّة المكرمة (في عهد محمد علي باشا). القاهرة، دار الوثائق القومية، محفظة ١٨ (بحربرا) وثيقة رقم ٢٧، بتاريخ ٢٧ صفر سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م.
- النهروالي، محمد بن أحمد بن محمد قطب الدين المكي (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م): الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية «تذكرة النهروالي»، نسخة مخطوطة ضمن مجموعة ولي الدين أفندي، بمكتبة بايزيد العمومية/ إسطنبول (Beyazit Umumi Kütüphanesi, Velieddin Efendi)، برقم ٢٤٤٠. قيد الطبع بتحقيق المهدي الرواضية في المعهد الألماني للأبحاث، بيروت.
- هبري أفندي، عبد الرحمن (ت ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٩م): مناسك المسالك، مكتبة لا له إسماعيل (السليمانية)، نسخة كتبت سنة ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٧م، ضمن مجموع برقم ١٠٤/ ٣، الورقات (٨٨-١٤٩).

ثانياً: المصادر المطبوعة:

- الأزهري، محمد بن أحمد الهروي (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م): تهذيب اللغة [تحقيق] محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث، ٢٠٠١م.
- الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد، أبو الفرج (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م): كتاب الأغاني، [تحقيق] إحسان عباس وإبراهيم السعافين وبكر عباس، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٢م.
- امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت ٨٠ ق.هـ/ ٥٤٢م): ديوانه، [تحقيق] محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، القاهرة: دار المعارف، (د.ت).

- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م): أنساب الأشراف، [تحقيق] سهيل زكار، ورياض زركلي، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦م.
- البوريني، الحسن بن محمد (ت ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م): تراجم الأعيان من أبناء الزمان، [تحقيق] صلاح الدين المنجد، دمشق: المجمع العلمي العربي، ١٩٦٣م.
- التنوخي، عز الدين آل علم الدين (ت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م): الرحلة التنوخية [تحقيق] يحيى عبد الرؤوف جبر، عمان: المحقق، ١٩٨٥.
- الجزيريّ، عبد القادر بن محمد الأنصاريّ (من أهل ق١٠هـ/ ١٦م): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحج وطريق مَكَّة المعظمة [أعدّه للنشر] حمد الجاسر، الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٣م.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد الفارابي (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م): الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»، [تحقيق] أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م.
- ابن خرداذبة، عبيد الله بن عبد الله (ت نحو ٢٨٠هـ/ ٨٩٣م): المسالك والممالك، ليدن: مطبعة بريل، ١٨٨٩م.
- الخياريّ، إبراهيم بن عبد الرحمن (ت ١٠٨٣هـ/ ١٦٧٢م): تحفة الأدباء وسلوة الغرباء [تحقيق] رجاء محمود السامرائي، بغداد: وزارة الثقافة، ١٩٧٩ . ١٩٨٠م.
- سبط ابن الجوزي، يوسف بن عبد الله الحنفي (ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، [تحقيق] مجموعة من الباحثين، بيروت: دار الرسالة، ٢٠١٣م.
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م): الطبقات الكبرى، [تحقيق] علي محمد عمر، القاهرة: مكتبة الخانجي، ٢٠٠١م.
- السنوسي، محمد بن عثمان (ت ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م): الرحلة الحجازية [تحقيق] علي الشنوفي، تونس: الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٨١م.
- السويدي، عبد الله بن حسين البغدادي (ت ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م): النفحة المسكية في الرحلة المكية، [تحقيق] عماد عبد السلام رؤوف، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٣م.
- سويله مز أوغلي، سليمان شفيق (ت ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م): رحلة سويله مز أوغلي إلى بلاد الشّام ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م. [دراسة وترجمة وتحقيق] فاضل مهدي بيات. المفرق (الأردن): جامعة آل البيت، ٢٠٠٠م.

- الشريف الإدريسيّ، محمد بن محمد (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٩م.
- شيخ الربوة، محمد بن أبي طالب الدمشقي (ت ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بغداد: مكتبة المثنى، (د.ت.).
- الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله، صلاح الدين (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م): الوافي بالوفيات، [تحقيق] مجموعة من الباحثين، بيروت: المعهد الألماني للأبحاث الشرقية (سلسلة النشرات الإسلامية)، ١٩٦٢-٢٠٠٤م.
- صفي الدين البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م): مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع [تحقيق] علي محمد البجاوي، بيروت: دار المعرفة، ١٩٥٤م.
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م): تاريخ الطبري «تاريخ الرسل والملوك»، [تحقيق] محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩م.
- ابن طولون الصالحي، محمد بن علي بن محمد (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م): البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي، نشرها الشيخ حمد الجاسر في مجلة العرب: دار اليمامة، ج١١، ١٢ س ١٠ ١٩٧٦م.
- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م): تاريخ مدينة دمشق، [تحقيق] محب الدين عمر بن غرامة العمروي، بيروت: دار الفكر، ١٩٩٦ . ٢٠٠٠م.
- ابن علوان، مرتضى بن علي (من أهل القرن ١٢هـ/ ١٨م): رحلة حج مرتضى بن علوان سنة ١١٢٠هـ. [دراسة وتحقيق] عيسى أبو سليم. مجلة أبحاث اليرموك . سلسة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج ٢٢، ع٤، كانون الأول ٢٠٠٦، ص ١١٠٥ . ١١٠٤. ونشرها الشيخ حمد الجاسر مختصرة، بعنوان: رحلة دمشقي إلى الحجّ سنة ١١٢٠ هـ. مجلة العرب ح ٣، ٤، السنة ٢٦، ١٩٩١م.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م): كتاب العين، [تحقيق] مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، القاهرة: دار ومكتبة الهلال، (د.ت).
- ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى، شهاب الدين أبو العباس (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، [تحقيق] كامل سلمان الجبوري، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٠م.

- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م): القاموس المحيط، [تحقيق] نصر الهوريني، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٨م.
- القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، القاهرة: دار الكتب الخديوية، ١٩١٣م.
- كبريت، محمد بن عبد اللّه الحسني المدني (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م): رحلة الشتاء والصيف [تحقيق] محمد سعيد طنطاوي، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، ١٣٨٥هـ.
- محمد أديب بن محمد درويش (كان حياً ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م): بهجة المنازل، [ترجمة] هشام عجيمي، إسطنبول: مركز التاريخ العربي للنشر، ٢٠٢٠.
- المرتضى الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م): تاج العروس من جواهر القاموس، الكويت: دار الهداية للطباعة والنشر، ١٩٦٥ . ٢٠٠١م.
- المسعوديّ، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م): التنبيه والإشراف، ليدن: مطبعة بريل، ١٨٩٣م.
- المقدسيّ البشاريّ، محمد بن أحمد (ت نحو ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن: مطبعة بريل، ١٩٠٩م.
- المكناسيّ، مُحمّد بن عبد الوهّاب بن عثمان (ت ١٢١٣هـ/ ١٧٨٩م): إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب. [تحقيق] مُحمّد بوكبوط. أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقي المصري، جمال الدين أبو الفضل (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م): لسان العرب، بيروت: دار صادر، (د.ت).
- النابلسي، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م): الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز. [تحقيق] رياض عبد الحميد مراد. دمشق: دار المعرفة، ١٩٩٨م.
- النهروالي، محمد بن أحمد بن محمد قطب الدين المكي (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م): الفوائد السنية في الرحلة المدنية والرومية «تذكرة النهروالي»، نسخة مخطوطة ضمن مجموعة ولي الدين أفندي، بمكتبة بايزيد العمومية/ إسطنبول (Beyazit Umumi Kütüphanesi, Velieddin Efendi)، برقم ٢٤٤٠. قيد الطبع في المعهد الألماني للأبحاث، بيروت.

- ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م): معجم البلدان، بيروت: دار صادر، (د.ت).

ثالثاً: المراجع:

- البخيت، محمد عدنان: ناحية بني الأعسر في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي. مجلة دراسات: (العلوم الإنسانية: التاريخ)، الجامعة الأردنية، عمان. مج ١٥، ع٧ (١٩٨٨)، ص ١٤٩. ٢٦٦.
- البخيت، محمد عدنان، ونوفان رجا الحمود: دفتر مفصل لواء عجلون "طابو دفتري رقم ٩٧٠"، دراسة وترجمة وتحقيق. عمان: منشورات الجامعة الأردنية، ١٩٨٩م.
- بيشة، غازي: القصور الأموية في الأردن، عمان: دائرة الآثار العامة، ١٩٧٤م.
- التل، صفوان: الآثار العربية والإسلامية في الأردن، عمان: وزارة الشباب، ١٩٨٨م.
- جاغلار، يوسف، وصالح كولن: المحمل الشريف ورحلته إلى الحرمين الشريفين، [ترجمة] حازم سعيد منتصر وأحمد كمال، القاهرة: دار النيل للطباعة والنشر، ٢٠١٥م.
- الجالودي، عليان عبد الفتاح: قضاء عجلون (١٨٦٤ . ١٩١٨م)، عمان: اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، ١٩٩٩م.
- الحديدي، عدنان: الأردن وفلسطين «تاريخ وحضارة»، بيروت، عمان: مؤسسة الرسالة، دار البشير، ١٩٩٦م.
- درادكة، صالح: طرق الحج الشامي في العصور الإسلامية "الطرق في شرق الأردن خاصة"، عمّان: اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، ٢٠٠٦م.
- دوغان، إسراء: راه زميني حُجَّاج عثماني از إستانبول تا حجاز، مجلة بهارستان، طهران، س ٣، ع ٩، ربيع عام ١٣٨٩ شمسية (٢٠١٠م). ص ٩٣٧-١٠٩١.
- دونمز، مصطفى إسماعيل: المنازل الحجازية لطرق الحج في الأعمال الأدبية التركية في القرن السابع عشر الميلادي «مقتطفات من مخطوطة منازل الطريق إلى بيت الله العتيق» لعبد القادر شلبي أنموذجاً. مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية، جامعة نواكشوط، ع٤٥، أغسطس ٢٠٢٠م، ص ٢٣٥-٢٦٢.
- الرجوب، عبد المجيد: العمارة الإسلامية العثمانية في الأردن «قلعة الفدين/ المفرق على درب الحاج الشامي نموذجاً»، المجلة الأردنية للتاريخ والآثار، عمان، مج٤، ع٤، ٢٠١٠م، ص ٤٥-٦٨.

- الرواضية، المهدي عيد: مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقُراه، عمان: اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، ٢٠٠٧م.
- زريفي، محمد عمراني: اليوم والليل وحدتا قياس غير ثابت ولا مضبوط في مغرب وأندلس العصر الوسيط، دورية كان التاريخية، س ١٠، ع ٣٥، ٢٠١٧م، ص ١٤٩ . ١٥٤.
- أبو الشعر، هند غسان: تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني، عمان: اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، ٢٠٠١م.
- طوقان، فواز أحمد: الحائر «بحث في القصور الأموية في البادية»، عمان: وزارة الثقافة والشباب، ١٩٧٩م.
- العابدي، محمود: الآثار الإسلامية في فلسطين والأردن، عمان، ١٩٧٣م.
- عباس، إحسان: تاريخ دولة الأنباط، عمان: وزارة الثقافة (مكتبة الأسرة)، ٢٠٢٠م.
- كفافي، زيدان: الأردن في العصور الحجرية، ط٢، عمان: لجنة تاريخ الأردن، ١٩٩٢م.
- المحيسن، زيدون: الحضارة النبطية، عمان: وزارة الثقافة، ٢٠٠٩م.
- مخلوف، لويس: الأردن «تاريخ وحضارة آثار»، عمان: (د.ن)، ١٩٨٥م.
- المصعبي، فاطمة عبد الله: الصرة «دراسة وثائقية لنموذج دفتر عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، مَكَّة المكرمة: مركز تاريخ مَكَّة المكرمة، ٢٠١٨م.
- النجار، محمد (وآخرون): تقرير أولي عن نتائج التنقيبات الأثرية في بلدة الموقر، حولية دائرة الآثار العامة، مج٣٣، ١٩٨٩م، ص ٥ . ١٢.
- هاردنج، لانكستر: آثار الأردن، [ترجمة] سليمان الموسى، ط٣، عمان: وزارة السياحة والآثار، ١٩٨٢م.
- هنتس، فالتر: المكاييل والأوزان الإسلامية، [ترجمة] كامل العسلي، عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٧٠م.
- Bakhit, Muhammad Adnan: *Mafraq* "in: Studies in the history of bilad al-sham in the sixteenth century", Introduced and co-editing by: Thaer T. Al-Kadi, Amman: Bilad al-sham History Committee, The University of Jordan, 2009.

الهوامش:

(١) دوغان: راه زميني حجاج عثماني از إستانبول تا حجاز، ص٩٥٠-٩٥٥.

(٢) يتقدّم الباحث بالشكر الجزيل للمؤرّخ التركي الأستاذ الدكتور سهيل صابان، الذي تفضَّل، بنَفْس طيبة واستعداد كبير، بترجمة العديد من النصوص العثمانية لغايات إعداد هذه الورقة.

(٣) جاغلار: المحمل الشريف ١١٧، المصعبي: الصُّرَّة «دراسة وثائقية لنموذج دفتر عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م»، ١٠٧ . ١٠٨.

(٤) يُنظر كمثال: دفتر الصُّرَّة رقم: (EV. HMK. SR. 01807) لسنة ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م، لدى فاطمة المصعبي: الصُّرَّة «دراسة وثائقية لنموذج دفتر عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٨م»، ودفتري الصُّرَّة رقم (١)، ورقم (٢٤٢٢) اللذين عرف بهما حسين أوزدمير Hussin Özdmir في دراسته المنشورة ضمن كتاب المحمل الشريف ١٢٣-١٢٩، والدفتر رقم (B/ 306. 48) لسنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، وقام منير آطالار Münir Atalar بالتعريف بهذا الدفتر في دراسته المنشورة ضمن كتاب المحمل الشريف ٢٨٩-٣٠١.

(٥) تمثل رحلة سويله مز أوغلي مثالاً على هذه النوع من مراكب الحج البحري البري، وكان سويله مز قد رافق والده علي كمالي باشا، أمين الصُّرَّة في سنة ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م، وكتب مذكراته حول هذه الرحلة.

(6) Bakhit: Mafraq "in: Studies in the history of bilad al-sham", 187.

(٧) درادكة: طرق الحج الشامي ٩٩، الرواضية: مدونة النصوص الجغرافية لمدن الأردن وقراه ٢: ٢٠٧ . ٢٠٨.

(٨) ابن خرداذبة: المسالك والممالك ٧٧، الإدريسي: نزهة المشتاق ١: ٣٧٧، ياقوت: معجم البلدان ٢: ٣١٧، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ١١: ٢٧٩.

(٩) المقدسي: أحسن التقاسيم ١٥٤.

(١٠) الجالودي: قضاء عجلون ٣٢، ٣٩، ٥٩، ٦١، ١٥٠، وانظرها على خريطته، ص١٤٤، أبو الشعر: تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني ١٥٢، ١٩٥.

(١١) شيخ الربوة: نخبة الدهر ٢٠١، ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار ٣: ٣٦١. وانظر القلقشندي: صبح الأعشى ٤: ١٠٣ . ١٠٨، ولم يذكر القلشندي الصويت لكنه ذكر المواضع المجاورة لها وأتبعها لدمشق مثل أذرعات وبصرى وغيرهما، فتكون حكماً في التبعية إليها.

(١٢) أبو الشعر: تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني ١١-١٥.

(١٣) هاردنج: آثار الأردن ٢٧، كفافي: الأردن في العصور الحجرية ٧٤-٧٥.

(١٤) هاردنج: آثار الأردن ٥٠، مخلوف: الأردن ٢٤٤، عباس: الأنباط ٧٣، ٨٣، التل: الآثار العربية والإسلامية ١١.

(١٥) هاردنج: آثار الأردن ١٨٣، عباس: الأنباط ٨٣، التل: الآثار العربية والإسلامية ٢٥ـ، مخلوف: الأردن ٣٩-٤٧، المحيسن: الحضارة النبطية ٢١٧. وانظر: موقع أم الجمال في الخارطة الملحقة بآخر الدراسة.

(١٦) رحلة سويله مز أوغلي ١٣٦، وانظر حول أهمية بصرى على طريق الحج: درادكة: طرق الحج الشامي ٨٩.

(١٧) عباس: الأنباط ١٠٧، أبو الشعر: تاريخ شرقي الأردن في العهد العثماني ٤١١، درادكة: طرق الحج الشامي ٩٧، Bakhit: Mafraq "in: Studies in the history of bilad al-sham", 187

(١٨) درادكة: طرق الحج الشامي ٦١.

(١٩) ديوان امرئ القيس ٦١.

(٢٠) ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٤٠، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ١١: ٢٧٩.

(٢١) الفيروآبادي: القاموس المحيط ١٢٢٦.

(٢٢) الزبيدي: تاج العروس ٨: ٤٨١، ٣٥: ٤٩٨.

(٢٣) ابن منظور: لسان العرب ١٣: ٣٢١.

(٢٤) الرجوب: العمارة الإسلامية ٤٥، Bakhit: Mafraq "in: Studies in the history of bilad al-sham", 187

(٢٥) الفراهيدي: كتاب العين ٨: ٥٠، الأزهري: تهذيب اللغة ٨: ٢٧٨، ١٤: ١٠٠، الجوهري: الصحاح ٦: ٢١٧٦، ابن منظور: لسان العرب ١٣: ٣٢١.

(٢٦) البلاذري: أنساب الأشراف ٧: ٦٩، ياقوت: معجم البلدان ٤: ٢٤٠. وانظر حول نهر الخابور: ياقوت: معجم البلدان ٢: ٣٣٤ . ٣٣٥.

(٢٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٧: ٤٥٢ وفيه: «الفُدين» بالضم، البلاذري: أنساب الأشراف ١٠: ١١١ . ١١٢، ياقوت: مُعْجم البلدان ٤: ٢٤٠، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ١١: ٢٧٩.

(٢٨) البلاذري: أنساب الأشراف ٦: ٢٣٤، ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٥٣، ٥٥، المزي: تهذيب الكمال ١٠: ٤٠٨-٤٠٩، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٥: ٢١٦.

(٢٩) البلاذري: أنساب الأشراف ٩: ١٤٢، الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٧: ٢١١.

(٣٠) التنوخي: الرحلة التنوخية ١٨.

(٣١) البلاذري: أنساب الأشراف ٩: ١٣٨ . ١٤٢، الأصفهاني: الأغاني ٧: ٢٢ . ٣٦، ٥١، وتحرف اسم الفدين في كتاب الأغاني إلى: قرين، فرتنى، وتحرف اسم الأزرق: الأبرق!.

(٣٢) هاردنج: آثار الأردن ١٩٥، بيشة: القصور الأموية ١٩، طوقان: الحائر ٦٨، مخلوف: الأردن ١٨٠-١٨١، التل: الآثار العربية والإسلامية ٣٤، الحديدي: الأردن وفلسطين ١١١، العابدي: الآثار الإسلامية ٢٠٩ . ٢١٢.

(٣٣) هاردنج: آثار الأردن ٢٠٠، الحديدي: الأردن وفلسطين ١١١، بيشة: القصور الأموية ٨، التل: الآثار العربية والإسلامية ٥٠ـ ٥١، طوقان: الحائر ٧٥، مخلوف: الأردن ١٧٩، العابدي: الآثار الإسلامية ٢١٤.

(٣٤) العابدي: الآثار الإسلامية ٢١٧، التل: الآثار العربية والإسلامية ٥٢، طوقان: الحائر ٨٥.

(٣٥) ياقوت: معجم البلدان ٥: ٢٢٦، هاردنج: آثار الأردن ٢٠٥، طوقان: الحائر ٧٣.

(٣٦) العابدي: الآثار الإسلامية ٢٠٠، ٢١٧، وانظر: النجار: تقرير أولي عن نتائج التنقيبات الأثرية في بلدة الموقر، ٥-١٢.

(٣٧) الرواضية: مدونة النصوص الجغرافية ٢: ٤١٩-٤٢٢.

(٣٨) هاردنج: آثار الأردن ١٩٣، الحديدي: الأردن وفلسطين ١١١، العابدي: الآثار الإسلامية ٢٠٩، طوقان: الحائر ٤٢٨، ٤٣٥، بيشة: القصور الأموية ٢٢ . ٢٤، التل: الآثار العربية والإسلامية ٥٣، مخلوف: الأردن ١٧١

(٣٩) هاردنج: آثار الأردن ٢٠٤، الحديدي: الأردن وفلسطين ١١١، العابدي: الآثار الإسلامية ٢٠٠، ٢٠٥، بيشة: القصور الأموية ١٠، طوقان: الحائر ٦١، مخلوف: الأردن ١٧٧.

(٤٠) هاردنج: آثار الأردن ١٩٠-١٩١، بيشة: القصور الأموية ٢٠، التل: الآثار العربية والإسلامية ٥٣-٥٤، مخلوف: الأردن ١٦٧-١٦٩، وقد بنى علماء الآثار رأيهم هذا استناداً على نقش روماني عثر عليه داخل القصر، غير أن فواز طوقان يدحض هذا الرأي ويعتبر البناء أموياً خالصاً، وأن النقش المذكور قد نقل إلى القصر عند البناء مع ما نقل من حجارة، انظر: طوقان: الحائر ٤٠٦-٤٠٧.

(٤١) هاردنج: آثار الأردن ١٩١-١٩٢، العابدي: الآثار الإسلامية ٢٠٨، بيشة: القصور الأموية ٢٠، طوقان: الحائر ٤٢١، التل: الآثار العربية والإسلامية ٥٤.

(٤٢) هاردنج: آثار الأردن ١٩٤ . ١٩٥، التل: الآثار العربية والإسلامية ٧٨، العابدي: الآثار الإسلامية ٢١٦، مخلوف: الأردن ٥٠-٥١.

(٤٣) في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٢١: ٥٧): ريويديه الغور، ولم نجد أي ذكر للزيوندية أو الريويدية في المصادر ولا في المراجع الحديثة، أما أراشة فهم بطن من قبيلة بلي، سكناهم في الشام. انظر:

البلاذري: أنساب الأشراف ٤: ٢٨١.

(٤٤) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٥٦–٥٧، ياقوت: مُعْجم البلدان ٤: ٢٤٠–٢٤١، الصفدي: الوافي بالوفيات ١٥: ٢١٧، ووقع فيه ضبط الفدين بضم الفاء وفتح الدال!.

(٤٥) صفي الدين البغدادي: مراصد الاطلاع ٣: ١٠٢٠.

(٤٦) ضبطه الشيخ الرَّحَّالة عبد اللَّه بن حسين السويدي البغدادي بفتح الميم وسكون الفاء وفتح الراء وآخر الحروف قاف، انظر: النفحة المسكية ٢٩٠.

(٤٧) ابن طولون الصالحي: البرق السامي (مجلة العرب، السنة العاشرة): ٨٧٧، وانظر نصّ ابن طولون وبقية نصوص الجغرافيين والرَّحَّالة العرب لدى: الرواضية: مدونة النصوص الجغرافية ٢: ٢٠٧–٢١٥.

(٤٨) الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة ٢: ١٢٦٦، قطب الدين النهروالي: الفوائد السنية (مخطوط) ١٢٦أ، كبريت: رحلة الشتاء والصيف ٢٣١، الخياري: تحفة الأدباء ١: ٩٠– ٩١، رحلة حج ابن علوان ١١١٢، البوريني: تراجم الأعيان ٢: ١٢، النابلسي: الحقيقة والمجاز ٣: ٤٠٥، السويدي: النفحة المسكية ٢٩٠، المكناسي: إحراز المعلّى والرقيب ٢٥١، الزياني: الترجمانة الكبرى ١٨٦، السنوسي: الرحلة الحجازية ٢: ٢٨١، رحلة سويله مز أوغلي ١٣٦– ١٣٨

(٤٩) كبريت: رحلة الشتاء والصيف ٢٣١.

(٥٠) كبريت: رحلة الشتاء والصيف ٢٣١.

(٥١) الخياري: تحفة الأدباء ١: ٩٠ . ٩١.

(٥٢) شلبي: منازل الطريق (مخطوط) الورقة ٤٠ب.

(٥٣) السنوسي: الرحلة الحجازية ٢: ٢٨١.

(٥٤) البوسنوي: دليل المناهل (مخطوط)، الورقة ٢٢أ. وأصل البيت باللغة العثمانية:

ديمش أعراب بر صحرايه مفروق صويى يوق كيمسه أولما زآنده مغروق

(٥٥) السويدي: النفحة المسكية ٢٩٠.

(٥٦) درادكة: طرق الحج الشامي ٩٩ . ١٠٠.

(٥٧) كبريت: رحلة الشتاء والصيف ٢٣١.

(٥٨) الرواضية: مدونة النصوص الجغرافية ٢: ٢٠٩.

(٥٩) محمد أديب: بهجة المنازل ٤٧.

(٦٠) النهروالي: الفوائد السنية (مخطوط) الورقة ١٢٦.

(٦١) ابن طولون الصالحي: البرق السامي ٨٧٧.

(٦٢) هبري أفندي: مناسك المسالك (مخطوط)، الورقة ١٠٦أ-١٠٦ب.

(٦٣) الخياري: تحفة الأدباء ١: ٩٠- ٩١.

(٦٤) رحلة حج مرتضى ابن علوان ١١١٢.

(٦٥) النابلسي: الحقيقة والمجاز ٣: ٤٠٤- ٤٠٥.

(٦٦) شلبي: منازل الطريق (مخطوط) الورقة ٤٠ أ-٤٠ب.

(٦٧) الحاج إبراهيم: منازل الحج، (مخطوط) الورقة ٥٥أ . ٥٥ب.

(٦٨) السويدي: النفحة المسكية ٢٩٠.

(٦٩) المسعودي: التنبيه والإشراف ٢٧، ياقوت: معجم البلدان ١: ٣٦.

(٧٠) هنتس: المكاييل والأوزان ٩٤، زريفي: اليوم والليل وحدتا قياس ص١٥٠-١٥١.

(٧١) النابلسي: الحقيقة والمجاز ٣: ٤٠٥.

(٧٢) كبريت: رحلة الشتاء والصيف ٢٣١.

(٧٣) البخيت والحمود: دفتر مفصَّل لواء عجلون رقم (٩٧٠)، ص٨٥.

(٧٤) البخيت: ناحية بني الأعْسَر في القرن العاشر الهجري، ٢٣٧.

(٧٥) الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة ٢: ١٢٦٦.

(٧٦) هبري أفندي: مناسك المسالك (مخطوط)، الورقة ١٠٦أ.

(٧٧) الخياري: تحفة الأدباء ١: ٩٠- ٩١.

(٧٨) النابلسي: الحقيقة والمجاز ٣: ٤٠٤- ٤٠٥.

(٧٩) السويدي: النفحة المسكية ٢٩٠.

(٨٠) المكناسي: إحراز المعلّى والرقيب ٢٥١.

(٨١)رحلة سويله مز أوغلي ١٣٧.

(٨٢) الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة ٢: ١٢٦٦.

(٨٣) النابلسي: الحقيقة والمجاز ٣: ٤٠٥، السويدي: النفحة المسكية ٢٩٠.

(٨٤) أوزدمير: دفاتر الصُّرَّة في الأرشيف العثماني التابع لرئاسة الوزراء، (ضمن كتاب المحمل الشريف) ص١٢٧.

(٨٥) محمد أديب: بهجة المنازل ٤٧.

(٨٦) السنوسي: الرحلة الحجازية، ٢: ٢٨١.

(٨٧) رحلة سويله مز أوغلي ١٣٦- ١٣٧.

(٨٨) مجهول: تقرير ناطق بالإصلاحات والترميمات اللازمة للقلاع وبرك المياه، دار الوثائق القومية بالقاهرة،

وثيقة رقم ٢٧، الورقة ١.

(٨٩) الجزيري: الدرر الفرائد المنظمة ٢: ١٢٦٦، هبري أفندي: مناسك المسالك (مخطوط)، الورقة ١٠٦أ، عبد الغني النابلسي: الحقيقة والمجاز ٣: ٤٠٥، شلبي: منازل الطريق (مخطوط) الورقة ٤٠أ، البوسنوي: دليل المناهل (مخطوط)، الورقة ٢٢أ، السويدي: النفحة المسكية ٢٩٠، محمد أديب: بهجة المنازل ٤٧، رحلة سويله مز أوغلي ١٣٨.

(٩٠) مجهول: تقرير ناطق بالإصلاحات والترميمات اللازمة للقلاع وبرك المياه والموجودة في المراحل والمنازل الواقعة في الطريق بين دمشق الشام ومَكَّة المكرمة (في عهد محمد علي باشا). القاهرة، دار الوثائق القومية، محفظة ١٨ (بحر برا) وثيقة رقم ٢٧، بتاريخ ٢٧ صفر سنة ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م. الورقة ١.

(٩١) محمد أديب: بهجة المنازل ٤٧.

(٩٢) السنوسي: الرحلة الحجازية ٢: ٢٨١.

(٩٣) قطب الدين النهروالي: الفوائد السنية (مخطوط) الورقة ١٢٦أ.

(٩٤) كبريت: رحلة الشتاء والصيف ٢٣١.

(٩٥) كبريت: رحلة الشتاء والصيف ٢٣١، النابلسي: الحقيقة والمجاز ٣: ٤٠٥ (وفيه: نهر البجة وعليه جسر)، السويدي: النفحة المسكية ٢٨٦، وانظر: درادكة: طرق الحج الشامي ٨٧.

(٩٦) مجهول: تقرير ناطق بالإصلاحات والترميمات اللازمة للقلاع وبرك المياه، الورقة ١.

(٩٧) النابلسي: الحقيقة والمجاز ٣: ٤٠٤.

(٩٨) المكناسي: إحراز المعلّى والرقيب ٢٥١، وانظر: قطب الدين النهروالي: الفوائد السنية (مخطوط) ١٢٦أ، هبري أفندي: مناسك المسالك (مخطوط)، الورقة ١٠٦ ب، كبريت: رحلة الشتاء والصيف ٢٣٢، السويدي: النفحة المسكية ٢٩١.

(٩٩) مجهول: تقرير ناطق بالإصلاحات والترميمات اللازمة للقلاع وبرك المياه، الورقة ١.

(١٠٠) كذا وردت في مطبوعة الرحلة في ثلاثة مواضع، ولعل الاسم محرف صوابه: خربة السمرا.

(١٠١) رحلة سويله مز أوغلي ١٣٧.